لغة الجرائد

(تابع لما في الجزء السابق)

ويقولون جلسوا في صاعة المنزل يعنون اكبر بيتٍ فيهِ او الموضع الذي يُستقبل فيهِ الزائر ولم ترد الصاعة لشيءٍ من المعنيين لكن جآء في المعنى الاول الرَدْهة وهي كما عرّفها في لسان العرب البيت العظيم الذي لا يكون اعظم منهُ ويُستعمل في المعنى الثاني البهو وهو البيت المقدَّم امام البيوت واصلهُ البيت من شعر من بيوت الاعراب ثم نقلتهُ الحضر الى البناء ودخل في قصور الملوك وزُين بالرياش والذهب وقد ورد ذكرهُ في نفح الطيب في الكلام على المستنصر بالله وهو في قصر مدينة الزهرآء قال وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الاوسط من الابهآء المذهَّبة . وجآء في شعر لابي بكر الخُوارَزمي من قصيدةٍ يصف فيها دار الصاحب بن عباد

وبهوٍ تباهي الارض منه سمآءها … بأوسع منها آخراً واوائلا

ومن قصيدةٍ للشيخ ابي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب

فالربع بالمجد لا بالصحن متسعٌ … والبهو لا بالحلى بل بالعلى باهى

وللمأموني من قصيدةٍ يصف دار ابي نصر بن ابي زيد عند تقلدهِ الوزارة

بهوها يملأ العيون بهآءً … صحنها يملأ الصدور انشراحا

فالظاهر من هذا الوصف ان المراد بالبهو هو نفس ما يسمى عندنا اليوم بالصالة واما الردهة فلم نعثر عليها في كلام احد من المولدين لكن لا بأس ان تطلق على مواضع الاحتفال الفسيحة المقامة للخطابة والتمثيل وما اشبه ذلك من المجتمعات العمومية

ويقولون تكدّر من هذا الامر اي استآء منهُ واشتدّ عليهِ وقد كدّرهُ الامر واحدث عندهُ كدراً عظيماً ومنهم من يقول كدّرهُ بمعنى عنّفهُ وقرّعهُ وهذه الاخيرة من اصطلاح الاتراك وكل ذلك غريبٌ عن استعمال العرب وان امكن ردّهُ الى وجهٍ صحيح

ويقولون بين الدولتين عهدةٌ تجارية وجآء ذلك في عهدة برلين مثلاً ولا معنى للعهدة هنا لانها بمعنى تَبعة الامر ودَرَكهِ والصواب المعاهدة

ويقولون افاض القولَ في هذا المعنى اي توسع فيهِ وتبسّط وهذا الفعل لا يستعمل متعدياً وانما يقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيهِ وخاضوا واكثروا واصلهُ من قولهم افاضوا من الموضع اذا اندفعوا بكثرة

ويقولون هذا امرٌ مثبوت اي ثابتٌ او مُثبَت وهو من تعبيرات العامة لانهم لا يكادون يفرقون بين فعَل وأفعل بل الغالب في كلامهم الاقتصار على فعَل المجرّد يميزون بين اللازم منهُ والمتعدي بالحركة . وهذا من اعظم مزالّ الخاصة لكثرة هذه الافعال واشتهارها حتى لا يكاد يداخلهم ريبٌ في صحتها وقد استُدرج بها اناسٌ من متقدمي الكتاب كما وقع لابي الفداء حيث يقول في مقدمة تاريخهِ واما التوراة العبرانية فهي ايضاً مفسودة وكما في قولهِ في هذه المقدمة فصار المثبوت في الجدول كذا كذا سنةً مع انهُ يقول في السطر الذي قبلهُ وهو الذي اخترناهُ واثبتناهُ في جدولنا هذا . وفي كلام لسان الدين بن الخطيب عند ذكر الغارة على جيّان فقللنا ثانيةً غربها وجدّدنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها وانما يقال اخرب المكان او خرّبهُ بالتثقيل ولا يقال خرَبهُ بالمجرد . ولأبي عبد الله بن الحجاج رواهُ لهُ

صاحب خزانة الادب

خرقت صفوفهم بأقبَّ نهدٍ مُراح السوط متعوب العنانِ

والصواب مُتعَب . ومثلهُ قول منذر بن سعيد من شعرآء الاندلس

لا تعجبوا من انني كنَّيته من بعد ما قد سبَّنا وأذانا

يريد آذانا بالمدّ . وربما تعدى ذلك الى افعالٍ لم تجرِ على السنة العامة كما في بيت ابن هانئ المشهور

خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري وفرت برمح القدّ درع تصبري

وانما يقال أخفر ذمتهُ او خفر بها ولا يقال خفرها . واغرب منهُ ورود مثل ذلك في كلام اناسٍ من اهل الجاهلية كقول عديّ بن زيد العباديّ

ويلومون فيكِ يا ابنة عبد م الله والقلب عندكم موثوقُ

يريد مُوثَق وانما وقع لهُ ذلك لانهُ كان قَرَويًّا كما ذكر الاصفهاني في ترجمتهِ قال وقد اخذوا عليهِ في اشيآء عيب فيها . اه . وقد تقدم لنا ذكر طائفةٍ من الافعال التي يزيدون الهمزة في اولها خطأً ولا بأس ان نزيد هنا افعالاً أخر توفيةً للفائدة . فمن ذلك انهم يقولون ارشاهُ اي اعطاهُ الرشوة . وآذن لهُ بكذا اي أذِن لهُ فيهِ ومنهم من يقول آذنهُ بكذا فيعدّونهُ بنفسهِ وانما يقال آذنهُ بالامر بمعنى اعلمهُ بهِ واشعرهُ . ويقولون اعاقهُ عن الامر وهذا امرٌ مُلِذّ وامرٌ مُشين وامرٌ مخِطّ بالشرف اي حاطٌّ للشرف فيزيدون على المفعول بآء وقد تقدم مثلهُ . وهو مُصان من كذا ومُساق الى كذا وسلعةٌ مُباعة واحنى رأسهُ واذرف دمعهُ واهزل دابتّهُ وافسح لهُ موضعاً وآيس من الامر وأنشد الضالة وأسدل الحجاب . وفي كلام بعضهم

أبصرت بالشيء كذا معدًّى بالبآء وانما يقال بصرتُ بهِ (بضم الصاد وكسرها) وأبصرتهُ فالبآء تعاقب الهمزة . ومن هذا القبيل قولهم اغاظهُ واشغلهُ والافصح غاظهُ وشغلهُ بالمجرد

ويقولون اعتدوا على بعضهم البعض وظلموا بعضهم البعض ولا يتحصل لهذا التركيب معنى الا بعناءٍ وتكلفٍ بعيد وربما قالوا تقاسموهُ بين بعضهم البعض وهو اغرب وابعد عن التأويل والوجه اعتدوا بعضهم على بعض وظلموا بعضهم بعضاً وتقاسموهُ بينهم

ويقولون ادّاهُ حقهُ فيعدّون هذا الفعل الى مفعولين وهو تعبيرٌ عاميٌّ والصواب ادّى اليهِ حقهُ

ويقولون ثوبٌ سميك اي صفيق ومصدرهُ عندهم السمك والسماكة وكل ذلك من كلام العامة وانما السَمْك في اللغة بمعنى الارتفاع تقول بنى جداراً سمكهُ كذا ذراعاً وهو من اعلاهُ الى اسفلهِ وشيءٌ سامك اي عالٍ طويل ولم يُسمَع سميك ولا سماكة

ويقولون خرج الى المُنتزَه يعنون المتنزَّه وهو المكان البعيد عن مستنقعات المياه ومجامع الناس ولم يُحكَ وزن افتعل من هذه المادّة . على انهم اذا ذكروا الفعل قالوا خرج يتنزّه ولم يقولوا ينتزه وكذلك سائر مشتقات هذه الكلمة ولم يسمع لهم وزن افتعل الا في اسم المكان المذكور وهو غريب

ويقولون ادّى اليهِ كذا لقآء عملهِ اي في مقابل عملهِ ولم يُنقل استعمال اللقآء بهذا المعنى

ويقولون تأمل منهُ خيراً اي رجاهُ وتوقعهُ وانما التأمل التثبت بالفكر او بالنظر ولا يجيء من الامل في شيء والصواب أمّل بحذف التآء وأمل بالتخفيف

ويقولون فعل هذا الامر عن طياشة ولا وجود للطياشة في اللغة والصواب عن طيش

ويقولون هل لا يجوز ان يكون الامر كذا وكذا وهل لم تزر زيدًا وهل ليس عمرٌو في الدار فيدخلون هل على النفي وهي مخصوصةٌ بالاثبات واكثرهم يكتب هل لا كلمةً واحدة على حد كتابة هلاّ التحضيضية وقد وقع مثل هذا لابن الجوزي في كتاب عقلآء المجانين حيث قال هلاّ يدل هذا على نقصان العلم والصواب استعمال الهمزة في كل ذلك

(ستأتي البقية)

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

ودُور التمثيل قليلة بالقسطنطينية والذي بها لا يستحق الذكر وهذا نقص كبير في مدينة بلغت من الحضارة ما بلغتهُ هذه العاصمة فان دور التمثيل من اكبر عوامل التمدن وافعلها في تهذيب الاخلاق على ما يشهد بهِ اجماع البلاد المتمدنة من اوربا واميركا على ايثار هذا الفن والعناية بهِ

وذلك بشرط ان تُراعى في التمثيل فروض الادب ويُحرَص على الحشمة والعفاف والا فعدم هذه الدور والملاعب خير من وجودها

ومن موفّرات راحة الاهلين التي قلما توجد في غير القسطنطينية ان الساكن فيها يستطيع الوصول الى كلّ ما يحتاج اليهِ من الخبز واللحوم والاسماك والبقول والفواكه واللبن والبيض والفحم والحطب وغير ذلك دون ان يخرج من دارهِ لانّ باعة هذه الاصناف كلها يحملونها ويطوفون بها في جميع الشوارع والازقة من الفجر الكاذب الى نصف الليل او ما بعدهُ وينادون عليها باصوات منكرة يتفننون فيها فبعضهم يحاكي نبيح الكلاب وبعضهم صهيل الخيل وبعضهم اصوات السنانير وغيرهم غير ذلك الاّ ان ذلك كلّهُ مما يقلق راحة الغريب عند ما يضطر الى البقآء في مخدعهِ نهاراً فضلاً عن الليل . ثم من عادة قسم من باعة الاقوات المذكورة وغيرها انهم ينتقلون في كل يوم من ايام الاسبوع الى سوق من الاسواق العريضة فيعرضون جميع اموالهم على اطباق او قنف او دكاكين من الخشب ومظالّ ينصبونها سحابة ذلك اليوم واسواقهم هذه معلومة الايام عند السكان فهي اشبه شيء بالموالد في بعض القطر المصري وبسوقي الاحد والجمعة في بعض سوريا . ثم ان الحرّاس هنا من اشهر حرّاس الدنيا فلا تذوق اجفانهم طعم الغمض من غروب الشمس حتى شروقها الاّ ان لهم عادةً لا يألفها الغريب بسهولة تلك انهم يسيرون طول الليل من رأس الزقاق الى آخره متسلحين بعصيٍّ غلاظ تحاكي بصلابتها النحاس الاصمّ وهم يقرعونها على بلاط الشارع في كل دقيقة قرعةً او قرعتين ثم يتبعون ذلك بقرع اشدّ واقوى عند مضيّ كل

ساعة من الليل يدلّون على عددها فيقرعون بترتيب خمسةً ان كانت الساعة الخامسة او عشرة ان كانت العاشرة وهلمَّ جرًّا ثم يكررون القرعتين او الثلاث ببعض الرفق للتمييز بينها وبين عدد الساعات وهكذا الى آخر الليل واني والحقّ اقول لم استقبح عادةً ذقت مرارة طعمها في هذه العاصمة كهذه العادة وقد طالما كررت في ليالي السهاد مشطراً صدر بيت المتنبي

ارقٌ على ارقٍ ومثلي يأرقُ ما دام حارسنا يدقّ ويطرقُ

ثم ان الكلاب هنا كثيرة في الازقة والاسواق فتراها نائمة في المماشي بين ارجل العابرين كانها قطعان الغنم ولا تسل عن نباحها ولا سيما متى اسبل الظلام سترهُ وتجاسر بعضها ان يتعدّى على حدود البعض فيخال السامع في سكون الليل ان هناك عراك نمورة ضارية وقد تستمرّ المعركة ساعة او ساعتين ثم لا يكاد ينقطع عوآء قبيلة منها حتى تسمع نباح اخرى اقرب من هذه او ابعد هذا فضلاً عن هراشها المستمرّ بين ارجل العابرين واخطار كلَبها وغير ذلك مما يخجل القلم من ذكرهِ .. فعسى ان تعطف الدوائر البلدية انظارها الى هذا البلاء المعيب وتسعى في ازالتهِ فالكلاب ليست من لوازم الحِضارة بل ربما كانت اكبر دليل على البدواة والخشونة ولعل للبدو في الصحرآء عذراً في اقتنآء كلب او كلاب تدفع عنهم طوارق الذئاب واللصوص في البراري المقفرة فما هو عذرنا في تركنا هذه الالوف من الكلاب تنمو نموّها السريع المعلوم في وسط المدن العامرة الحافلة بسائر اسباب المدنيّة واقل مضارّها ما سبق تعدادهُ وفوق هذا كلهِ فالكلب نجسٌ شرعاً

ومن عادة الحرّاس هنا انهم متى سمعوا خبر حريق في محلة من محلاّت المدينة ينادون مخبرين بقولهم حريق في المحلَّة الفلانية مكررين ذلك من اول الشارع الى آخرهِ بصوتٍ اشبه شيء بعواء كلب متألم وعلى اثر صياح الحارس يبتدئ نباح الكلاب من كلّ جهة ولم اقف على الحكمة من محاكاة الكلاب بهذه المناداة ولعل المقصود منها ان تختلف عن اصوات المنادين من الباعة ليتنبّه الناس فان كان الحريق قريباً منهم فازوا بانفسهم وان كان بعيداً ذهبوا لاغاثة ذوي قرباهم واصحابهم . وشركات الاطفاء كثيرة ومثلها المطافئ فضلاً عن القسم المخصص لذلك من العساكر السلطانية وبالجملة فالعناية بذلك بالغة منتهى الغاية

وليس في القسطنطينية مكاتب عامة عدا مكاتب بعض جوامعها الشهيرة كمكتبة جامع نور عثمانية وجامع السلطان احمد وغيرها لكنها ليست مباحة لسائر الناس ولا فيها شيء من المؤلّفات العصرية في اكثر العلوم والفنون الاّ انّ فيها كثيراً من الكتب النفيسة العربية وما اجدر نظارة المعارف بطبعها في المطبعة السلطانية العامرة لنشر فوائدها واكتساب عوائدها اذ لم يحيِ مؤلفوها رحمهم الله الليالي ولم يبذلوا على تلك القراطيس دماء مهجهم وعيونهم الغوالي الاّ لتحيي ذكرهم وهم اموات وتهدي الينا ثمار ماجنوهُ بطول الجهد وتحمل المشقّات لا لتدفن وراء زجاج المكاتب بعضها فوق بعض كما دفنت اجسادهم في طي هذه الارض فعسى ان تقع كلمتنا هذه في اذنٍ واعية وتنهض ذا همةٍ عالية فتتحقق من هذه البغية الآمال وما ذلك على العزائم الصادقة بمحال

والحرية هنا مطلقة للناس على اختلاف الاجناس بشرط ان لا تتعدى على حقوق الغير كما هو المفهوم والمقصود من الحرية عند جمهور الحكمآء . فصحف الاخبار التي تصدر في اكثر عواصم اوربا منتشرة هنا في جميع الاندية ودور القهوة والفنادق والمحادثات مباحة لسائر اصناف الخلق في جميع الابحاث حتى السياسية خلافاً لمزاعم بعض المرجفين من ذوي الاغراض

وفي القسطنطينية صحف اخبار تنشر يومياً بالتركية والفرنسوية والعربية واليونانية والارمنية والانكليزية والالمانية والعبرانية وفيها وكالات لنشر الاخبار البرقية فتنشر كلّ يوم اهمّ حوادث العالم واسعار الاسهم الدولية . اما صحف اخبارها فمقيّدة عن الخوض في بحر السياسة لنقص خبرة الكتّاب عندنا بهذا الفنّ ولانّ اكثر الامة لم تتعود فهم اسرار السياسة فيكون اطلاق الحرية لهم في هذا الفن مضرّا بالعامة من المطالعين باعثاً على قلق الافكار من غير جدوى

اما المدارس هنا فكثيرة واعظمها وارفعها شاناً المكتب السلطاني وفيهِ من الطلاب نحو الخمس مئة من جميع الملل واكثرهم على نفقة جلالة السلطان ويُعلَّم فيهِ من اللغات التركية والعربية والفرنسوية وجوباً والانكليزية والجرمانية والايطاليانية واليونانية والارمنية اختياراً . ومن العلوم الجغرافية والتاريخ والرسم والهندسة وسائر العلوم العالية . وفيهِ من المعلّمين نحو الخمسين ومن ردهات التدريس مثل هذا العدد وفي كلّ سنةٍ يخرج منهُ نحو الثلاثين طالباً ممن اتموا دروسهم . ومن مدارسها الشهيرة ايضاً المكتب الملكي ومكتب الحقوق وفيها المدارس العسكرية والطبية وكلّها تضارع احسن المدارس العالية في

اوربا واكثرها قد تأسّس وتحسّن في زمن خلافة امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان الثاني حفظهُ الله . وفيها مدارس كثيرة للبنات ومدارس للاخوة الملقبين « بالفرير » ولاكثر الطوائف والامم كتاتيب ومدارس تُعلّم فيها اللغات والعلوم وفيها مرصد فلكيّ خاصّ بالدولة

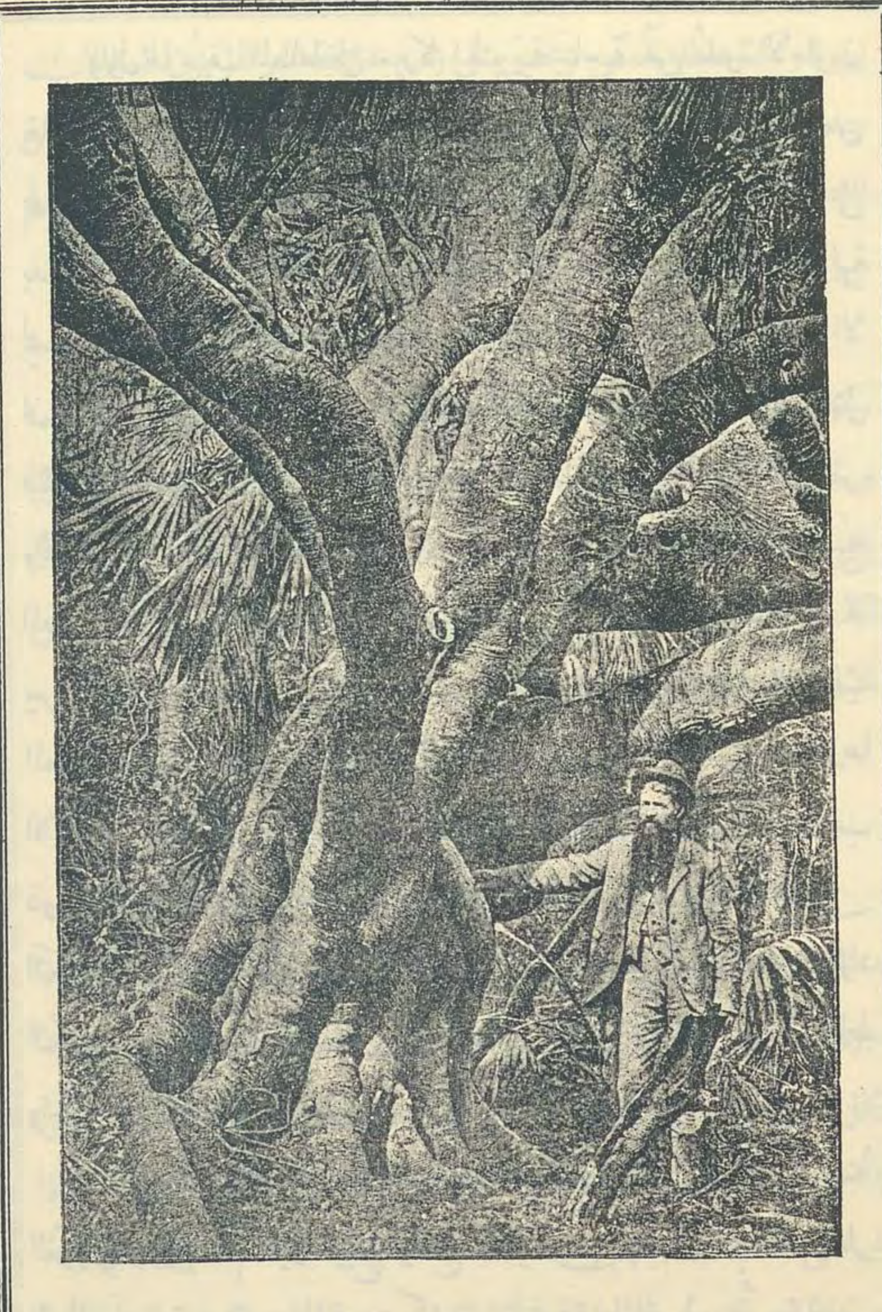
اما عدد سكان القسطنطينية فغير معلوم على التحقيق لكن يقدَّر عدد سكان استنبول وهو احد اقسام القسطنطينية الاربعة باربع مئة الف وسكان اسكي دار وضواحيها بمئة وخمسين الفاً وسكان الخليج (البوغاز) بمئتي الف وسكان بك اوغلي (بيره) بثلاث مئة وخمسين الفاً. واكثر سكان القسم الاخير من الفرنجة الذين استوطنوها من قديم ومنهم قسم كبير من الالمان الذين انتشروا فيها منذ عهد قريب.   (ستأتي البقية)

شجر المطّاط

المراد بالمطاط هذه المادة المرنة المعروفة بالكاوتشوك وهي لفظةٌ هندية معناها عصير النبات . وليس لفظ المطاط تعريباً لها ولكنها تسميةٌ مرتجلة جرى بها بعض اقلام كتابنا من باب اطلاق الصفة على الموصوف . ولا يخفى ان المطّاط اسم فاعل من مطّ الشيء اذا مدّهُ فكان الوجه ان تسمى بالمتمطط مثلاً ولكن كذا جرت التسمية ولهذه الكلمة نظائر في اللغة جروا فيها على القلب كتسميتهم ريف البحر بالساحل وحقيقتهُ المسحول لان الماء يسحلهُ اي يقشرهُ وقولهم قارعة الطريق اي وسطهُ وهو الموضع الذي تقرعهُ السابلة وغير ذلك

واول ما عُرف المطاط في اميركا الجنوبية بناحية من عُدوة الامازون يقال لها غويانا فيها غابات كثيرة من شجرهِ وهو قديم الاستعمال هناك من عهدٍ بعيد . وقد عُرِض نموذج منهُ على مجمع العلوم الفرنسوي نحو سنة ١٧٥٠ على يد اثنين من رجال المجمع كان قد ارسلهما في ذلك التاريخ الى اميركا الجنوبية ليمسحا قوساً من الهاجرة هناك وانتشر مذ ذاك في فرنسا وسائر اوربا . الا ان استعمالهُ كان مقصوراً على محو كتابة الاقلام الرصاصية ولبث على مثل ذلك الى نحو سنة ١٧٩٠ ثم اخذوا يستخدمونهُ في المصنوعات المختلفة كالنوابض والانابيب وغيرها . وفي سنة ١٨٢٠ شرعوا في انكلترا يصنعون منهُ النُسُج المصلَّدة (اي التي لا ينفذها المآء من قولهم فرسٌ صَلدٌ وصَلُود اذا كان لا يعرق) ويقال ان هذه من اختراع الهند . وما زال التفنن فيهِ يزداد وضروب المصنوعات منهُ تتكاثر حتى عمّ اكثر الصنائع ودخل في آلات الجراحة وغيرها الا انهُ كان لا يزال فيهِ موضع اصلاح وهو انهُ كانت تتغير مرونتهُ بحسب درجة الحرارة المحيطة بهِ فارتأى غوديير الاميركاني ان يزيد عليهِ شيئاً من الكبريت فمزجهُ بنحو ٢٠ في المئة فثبتت مرونتهُ على حالٍ واحد ثم زاد الكبريت مقداراً آخر فزالت مرونتهُ وتصلب فصاروا يصنعون منهُ الامشاط والحُقَق وغيرها مما هو مشهور

اما الشجر الذي تُستخرَج منهُ هذه المادّة فكان اول ما عُرف منهُ الغوياني وهو يعظم كثيراً فيبلغ ارتفاع ساقهِ من ١٥ الى ٢٠ متراً وقطر الساق نحو متر ويتفرع الى فروعٍ كثيرة ينبت في اطرافها ورقٌ متراصف متقابل ذو ثلاث شعَب وزهرهُ من المعروف بذي المسكنين . واكثر ما



شجر المطاط الاميركاني

يوجد في جوار المياه العذبة من شطوط البحيرات وعُدوات الانهار ولهُ ثمرٌ ذو لبابٍ يشبه طعمهُ طعم البندق ويتخذ منهُ زيتٌ خاثر يصلح للطعام وخشبهُ ابيض هشٌّ يستعمل في الابنية الخفيفة . الا ان افضل ما يُستغَل منهُ هو اليَتُوع اي اللبن الذي يُستخرَج منهُ وطريقة استخراجهِ ان يُبضَع بدن الشجرة بضعاً غاثراً بفأسٍ ونحوها ويُجعَل تحت البضع اناءٌ من الصلصال وهو تراب الفخار يلصقونهُ بالشجرة بطينةٍ من الصلصال نفسهِ فيرشح السائل اليهِ فاذا كانت الشجرة كبيرةً تُضع فيها اربع او خمس بضعات حول الساق وفي اليوم الثاني يُبضَع غيرها اسفل منها ثم اسفل حتى يُنتهَى الى اصل الشجرة

ويستمرّ ارتشاح اليتوع مدة احدى عشرة ساعة فاذا جفّ نزعوا الآنية وافرغوا ما اجتمع فيها في قرعةٍ . وهو يكون اذ ذاك ابيض اللون اشبه بمنظر اللبن واذا تُرك في الوعآء اسرع اليهِ الاختمار ولذلك يبادرون الى تجميدهِ فيتخذون لهُ قوالب من الطين تكون عادةً بهيئة الكمَّثرَى ويغمسونها في ذلك اللبن فتكتسي طبقةً منهُ ثم يرفعونها فوق نارٍ كثيرة الدخان فلا تلبث تلك الطبقة ان تجمد وهذا هو السبب فيما نراهُ من سمرة لون المطاط . ثم ياخذون فوق الطبقة المذكورة طبقةً اخرى فيفعلون بها كذلك ثم يزيدون فوقها مثلها حتى يتجمع هناك كتلة ضخمة فيكسرون ما في جوفها من الطين ويستخرجونهُ من فوّهتها فتكون اشبه بالقارورة

وقد ارشدهم البحث الى اصنافٍ شتى من هذا الشجر منها صنفٌ يكثر في اميركا الوسطى منتشراً في قسطاركا ونكارَغوا وما يلي هذه المواضع الى ارض المكسيك وهو اشجارٌ عالية كثيفة الظل كبيرة الورق تبلغ الورقة

قدماً طولاً ولهُ ثمرٌ اشبه بالكمثرى في وسطه بزرٌ كحجم البنّ وكثيراً ما يفرخ وهو في ضمن الثمرة ولذلك يصعب نقل هذا الشجر الى بلادٍ اخرى . ومنها الصنف الذي تراهُ في الرسم وصمغهُ مشترك الصفات بين المطاط والطبرخي (الغوتابرخا) واصلهُ من شجر غويانا ثم انتشر في اميركا الوسطى ونُقل الى فلوريدا وهو املس البدن عارٍ من الورق الاّ في اطرافهِ وخشبهُ ملززٌ متين كثير الملاءمة للبناء

وهناك اصنافٌ أُخر بعضها في اميركا و بعضها في الهند وياوا ومدغسكر وغربيّ افريقيا وما برحت طوارئ الافرنج في هذه النواحي وغيرها تجدّ في نقلهِ وتنميتهِ لما آنسوا فيهِ من وفرة الريع وكثرة الاقبال فما كان احرى البلاد المصرية ان تكون من اغنى منابتهِ واشهرها ولا سيما مع قرب مجتلبهِ منها فانهُ خيرٌ لها من كثيرٍ من المزروعات وخصوصاً هذا القطن الذي شغل البلاد والعاملين فيها وقلما يسلم من آفةٍ يضيع بها ريع الارض وتعب الفلاح

الشمس

لحضرة الشاعر المجيد امين افندي الحداد احد منشئي جريدة السلام حالاً ولسان العرب قبلاً

اعجب من الشمس اصل النور والنارِ … يثور من غير قدحٍ زندها الواري
أُمٌّ العوالم ينقاد الوجود لها … في جحفلٍ من دراري الافق جرّارِ
تدنو بشعلتها منا فنحسبها … كانما هي منا قِيدَ اشبارِ
هيهات من دونها للبعد مرحلةٌ … يرتدّ فيها خيال الحالم الساري

قالوا لنا انها في الكون ثابتةٌ ... أنَّى الثبوت وإنَّا رهن اسفارِ
تسري الى حيث لا تدري ونتبعها ... الى مصيرٍ من الآزال مختارِ
وقد نعود كما كنا وترجعنا ... لدارها وهي فينا ربة الدارِ
جرمٌ عظيمٌ من النيران متقدٌ ... يخبو لدى كنههِ ايقاد افكارِ
فكيف كان وما يمسي وان بهِ ... مع كل اظهار شيءٍ كل اضمارِ
نورٌ بهِ كل خافٍ لاح وانسدلت ... انوارهُ فوق خافيهِ كاستارِ
يا أُمَّنا الشمس انت الموت ذا ظُلَمٍ ... وارضنا منكِ تحيا ذات انوارِ
خلعتِ كل جمالٍ منكِ مصدرهُ ... على البرية من روض واثمارِ
فمن شعاعكِ ما في فرق غانيةٍ ... وما تأرَّج من حانوت عطارِ
ومن ضيآئكِ ما يهدي نواظرنا ... في ظلمة الليل من اضوآء اقمارِ
ومن عطآئكِ ما عاش الانامُ بهِ ... من جري مآءٍ ومن حَبٍّ واشجارِ
نارٌ ونورٌ هما اصل الحياة وقد ... تواصلا منذ ادهارٍ وادهارِ
يا للعجائب بذلٌ لا نفاد لهُ ... على المدى وحياةٌ دون اعمارِ
كالعسجد المحض لا تفنين من قدمٍ ... ولو تبدّل منهُ وجه دينارِ
يحيي البرايا كما تحيينها ابداً ... فقد جريتِ واياهُ بمضمارِ
تبدّلين لنا وجه الدجى بسنًى ... كما يبدّلُ ايساراً باعسارِ
كنتِ الالهَ كما ظن الورى قدماً ... وهو الاله باجماعٍ وايثارِ
يبدو بوجهين غدّاراً بنا ابداً ... وما بدوتِ لنا في وجهِ غدّارِ
وطالما غاب لم نظفر بطلعتهِ ... وانت صادقةٌ في كل اطوارِ
انتِ الوجودُ وأُولى كل كائنةٍ ... وانتِ ان تخبرينا ذات إخبارِ

فهل سمعتِ صلاة العابديك وهل علمتِ ما رفعوا من ضخم احجارِ
راوكِ معجزةً في جوّهم فبنوا في الارض معجز بنيانٍ وآثارِ
وقد تهدّمَ ما شادوا وما برحت قصور خلدكِ تسمو ذات اسوارِ
لوكنتِ تدرين مافي الارض من بدعٍ شتى وما عندنا من جمّ اوزارِ
وما نباشرهُ دوماً ونضمرهُ من افك قولٍ وافسادٍ واضرارِ
اذن لأَبعدتِ حتى لا نهار لنا او لاقتربتِ فلا دارٌ لديّارِ
انتِ الحبيبة للسارين ضل بهم وخد المهاري وقد مالوا باكوارِ
يرون منكِ سبيل الامن واضحةً وقد حماها زئير الضيغم الضاري
انت العدوّة للعشاق مظهرةً مكانهم حيث كانوا ايَّ اظهارِ
فكم نممتِ عليهم بالضيا وفشا بسرّ نوركِ من مكنون اسرارِ
يفيضُ منكِ شعاع النور منتشرًا كالبحر يدفع تياراً بتيارِ
تبشر الطيرُ اذ تدنين صادحةً وتلمعين ضحًى في ريش اطيارِ
ويبسم الروضُ اذ يلقاكِ عن دُرَرٍ في ثغر طلٍّ نضيدٍ فوق ازهارِ
اذا نظرتِ بعينٍ منكِ واحدةٍ لهُ رآكِ باعيانٍ وانظارِ
اذا بدا فجركِ الوضاح منبلجاً تبرقع النجم منهُ خلف أستارِ
يظل سهران طول الليل مرتقباً بزوغهُ بين تسهيدٍ وتذكارِ
حتى اذا لاح اغفت عينهُ تعباً من النعاس بلا هدبٍ واشفارِ
كأَن شهب الدجى لما بدوتِ لنا شوادنٌ نفرت من وجه زآرِ
حتى اذا ما تقضَّى اليومُ لحتِ لنا بمظهر جل عن تشبيه اشعارِ
كان قرصكِ اذ مال الغروب بهِ طودٌ من النار طافٍ فوق ابحارِ

فنحن في كل يومٍ في نوًى ولقاً وانتِ تنأين عن جارٍ الى جارِ
وهكذا دون لبثٍ والوجود لنا مجدداً بكِ دوراً إثرَ ادوارِ
هيهات لا بدَّ ان تجري الى قدرٍ وانما كلنا نجري لمقدارِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة ـ هل من علامة يميز بها الالماس من الزجاج

ا * ح * ع

الجواب ـ ذكر بعض المجربين ان العلامة في ذلك ان ترسَم نقطة بقلم رصاص على قطعة ورق ابيض ثم يُجعل الحجر فوق النقطة ويُنظر اليها فان ظهرت واحدةً وذات حدٍّ واضح فهو الماس وان تعددت او تشعبت فهو زجاج

الاسكندرية ـ هل ورد في اللغة اسمٌ لهذه البيوت التي يسكنها الفلاحون المسماة بالعشش احد مشتركي الضياء

الجواب ـ هذه البيوت تسمى بالاكباس واحدها كِبْسٌ بالكسر وهو البيت من طين وقد يطلق على كل بيتٍ صغير

حلب ـ نرجو الجواب على الاسئلة الآتية .

(١) ما هي الطريقة المثلى التي ينبغي اتباعها لاحكام اللغة العربية وما هي المؤلفات اللازمة لذلك

(٢) ما هي الكتب التي ينبغي للطالب ادمان مطالعتها للاجادة في

انشآء الروايات القَصصية والتمثيلية والتمكن من ملكة الانشآء التاريخي وانشآء المراسلات والخطب والكتابة في الاغراض العلمية والفلسفية والمنطقية

(٣) ما هي الكتب التي ينبغي مطالعتها لمعرفة تاريخ اللغة العربية واخلاق العرب وعوائدهم واخبار ملوكهم وعلمآئهم

(٤) هل يلزم من اراد الاجادة في فن الانشآء ان يشتغل بالشعر وينبغ فيهِ

(٥) هل تكفي لاتقان معرفة اللغة المعجمات المتداولة بين ايدي اكثر الدارسين من مثل محيط المحيط وقطر المحيط وما هو افضلها

احد المشتركين

الجواب — اما المسئلة الاولى فاول ما يلزم الطالب بعد الاحاطة بما لا بد منهُ من قواعد الصرف والنحو وعلمي البلاغة والبديع ان يتخرج بمطالعة بعض المصنفات العملية ككتاب المثل السائر لابن الاثير وكتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل للشيخ شهاب الدين الحلبي وبعض كتب الادب والشعر المشروحة كمقامات الحريري وديوان المتنبي ثم يأخذ نفسهُ بتصفح كتب البلغآء من متقدمي الكتَّاب ليكتسب ملكتهم ويعي من الفاظهم وتراكيبهم ما يخرجهُ الى لهجتهم واسلوبهم وهو مضمون سؤالكم الثاني . واما الكتب التي ينبغي ان يتخيرها لاكتساب ملكة الانشآء في الاغراض التي ذكرتموها فاما في الاسلوب القَصَصيّ فككتاب كليلة ودمنة ونحو كتاب ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي والكتب من هذا النوع كثيرة عندنا وغالبها حسن . واما في الحكاية التاريخية فأحد كتب المؤرخين الاولين

كالمسعوديّ وابن الاثير ومن في طبقتهما . واما في انشآء المراسلات فرسائل الخوارزمي والصابئ ومن شاكلهما . واما في انشآء الخُطَب فكتاب العقد الفريد فان فيهِ من ذلك انموذجاً كافياً. واما في الاغراض العلمية فكتابات اهل كل علم وقد تُغني في بعض ذلك مقدمة ابن خلدون وكتاب سعود المطالع للمرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابياري . واما في الكتابات الفلسفية والمنطقية ففي الاولى كتاب المواقف للشيخ عضد الدين الايجي مع شرحهِ للسيد الجرجاني وفي الثانية كتاب البصائر النَصيرية لنصير الدين الطوسي

وهذا كلهُ انما هو لمن يبغي طلائع كل واحدٍ من هذه الفنون وانما ذكرنا من الكتب اشهرها وايسرها منالاً ومن بلغ ان يطالع هذه التصانيف كلها و يستولي على ما فيها فان لم يستغنِ بنفسهِ لم يعجزهُ ان يتوسع في كل فنّ باستقراء كتبهِ

واما تاريخ اللغة العربية وتتبع اطوارها في زمنٍ زمن فهذا ما لا تجدونهُ في كتاب ولكن يمكنكم ان تتوصلوا الى شيء من مجملهِ باستقرآء مؤلفات كل عصر وهو من اعزّ المطالب الحالية . واما اخلاق العرب وعوائدهم وغير ذلك مما ذكرتم فتجدون منها بعض الغنآء في كتاب الاغاني وفي العقد الفريد

واما لزوم الاشتغال بالشعر للمنشئ فيكفيهِ منهُ الحفظ والاستظهار والاكثار من قرآءة دواوين المتقدمين ولاسيما من الجاهلية لاقتباس ملكتهم واشياء من الفاظهم واما أن يعاني الشعر بنفسهِ حتى يكونَ شاعراً فليس في شيء من لوزام الانشاء

واما المعجمات العربية فان امكنكم مقتنى تاج العروس او لسان العرب

والا فافضلها محيط المحيط وان كان لا يخلو من مواضع يؤخذ عليهِ فيها الا ان في غيرهِ من ذلك ما لا يُذكر في جنبهِ ما في محيط المحيط والله اعلم

مُتَفَرِّقَات

تبيض الزنج ـ تختلف الوان البشر باختلاف الاقليم وما تتعرض لهُ من الحرّ والبرد وغيرهما فكلما اشتدت حرارة الاقليم كان اللون اشد سوادًا الا ان ذلك ليس من فعل الشمس وتسويدها لظاهر الجلد مباشرةً كما تزعمهُ العامة ولكن لذلك سبباً آخر وهو ان تحت الجلد مادّةً ملوّنة تتخلل الشبكة المخاطية المستبطنة للجلد على هيئة حُبَيبات سمراء . وهذه المادة في جميع اصناف البشر واحدة الا ان الفرق بين الابيض وغيرهِ انما هو بالقياس الى عدد هذه الحُبيبات وحجمها وهي تنمو وتتكاثر بارتفاع درجة الحرارة وتقل وتضعف في الاقاليم الباردة وبحسب ذلك يكون الجلد ابيض او اسمر او حبشيًّا او اسود او غير ذلك من الالوان المعروفة في البشر . وعليهِ فالسواد في الزنجيّ يكون بمنزلة ضربٍ من الوشم الا انهُ من صنع الطبيعة

على ان هذه الحُبيبات قد يعرض لها من فساد المزاج او غيرهِ ما يضعف نموّها ويقلل عددها فيحدث هناك ما يسمى بالبَهَق وهو بياضٌ شبيه بالبرص الا انهُ ليس منهُ وقد رُؤي من الزنج من عمّ البَهَق جميع جسمهِ فانقلب من السواد الى البياض ومن ذلك ما رواهُ الاب دِكمار المؤرخ الشهير من علماء طبائع الحيوان من اهل القرن الثامن عشر فانهُ نشر

في جريدة الطبيعة سنة ١٧٧٧ فصلاً وصف فيهِ زنجيةً بيضاء من ابوين زنجيين في جزيرة دومينيك قال وهي كسائر الزنج مفلطحة الرأس ضيقة الجبهة بارزة الفكين غليظة الشفتين فطسآء الانف وعلى الجملة فلها جميع ملامح الزنوج وبياضها امهق (اي لا يخالطهُ حمرة وليس بنير ولكنهُ كلون الجص) وشعرها وحاجباها واهدابها الى الشقرة ولها اخوة كلهم سود لكن يقال ان البكر وُلد ابيض ثم اسودّ . وفي سنة ١٧٨٢ ذكر انهُ رأى زنجيةً اخرى بيضآء وهي ابنة احد الاقيال بشطوط الغابون وذكر غيرهُ في نحو ذلك التاريخ انهُ رأى زنجيةً بلقآء اي مبقعة بالبياض واخذ عنها صورةً هي اليوم في دار الآثار بباريز . وللعلمآء في هذه الفلتات الغريبة مباحث طويلة لم ينتهوا منها الى حقيقة ولذلك نضرب عن ذكرها الا ان الذي ظهر لهم ان هذا الانقلاب اكثر ما يتفق وقوعهُ في زنوج افريقيا ولاسيما النسآء منهم الا ان اولادهنّ يكونون سودًا او بلقًا واما في هنود اميركا النحاسيين فهو اقلّ جدًّا واقلّ منهُ في السلائل البيضآء والصفرآء

ومن رأي بعض العلمآء في هذه الايام ان هذا التبديل في اللون يمكن ان يتمّ بالصناعة باستخدام الكهربائية وتسليطها على المادّة الملوّنة التي تحت الجلد . وذلك ان للكهربائية قوةً على التأثير في النسيج الحيويّ وما يتخللهُ من السوائل فانهم قد استعملوها في ازالة السلَع والجول والاورام الدموية وغيرها وزعم بعضهم انهُ ازال بها الوشم . اما كيف يتم بها هذا التأثير وهل هو عن فعلٍ كيماويّ مجهول الكيفية او عن تقليصها للاوعية الدموية بحيث ينقطع عنها الغذآء او يتشوش فمما لم يتوصلوا الى تحقيقهِ بعد . ومهما يكن من ذلك

فانهُ مع ثبوت هذا التأثير للكهربائية لا يكون من المستبعد ان يُتوصل بها الى تبييض لون الزنجي اذ ليس بين ما ذُكر وهذه الغاية الا خطوةٌ واحدة بل جاء في بعض المجلات الانكليزية ان احد العلماء قد توصل الى ذلك فعلاً

بقي ان يُنظر هل يرتضي الزنج بتغيير الوان جلودهم واستبدالها باللون الابيض فقد روى ابن بطوطة انهم يعتبرون الابيض غير ناضج والاسود ناضجاً ولذلك فان من يا كل لحم الآدميين منهم لا يا كل لحوم البيض ...

فوائد

تنقية الزيت المستعمل لآلات الساعات وآلات الخياطة ونحو ذلك من الادوات الدقيقة ـ يُصَبّ مقدار من زيت الزيتون من اجود صنف في صحفةٍ من الصيني وتُجعَل هذه الصحفة في وعاء اوسع منها ليتلقى الزيت اذا انكسرت الصحفة . ثم يؤخذ نحو ثقل الزيت من الرصاص ويذاب حتى يحمرّ ثم يُصَبّ على الزيت صباً مستديراً وبعد ذلك يُجعَل الزيت في اناء زجاجي ويعرَّض لاشعة الشمس مدة ثلاثة اشهر ويغطى فم الاناء بصفيحةٍ من الزجاج منعاً لدخول الغبار وغيرهِ من الموادّ الغريبة وبعد ان يشمَّس المدة المذكورة يصفَّى ويُجعَل في قارورةٍ للاستعمال

والزيت المعالج كذلك ينبغي ان يكون تامّ البياض والشفوف وان لم يكن كذلك وجب اعادة تنقيتهِ مرةً اخرى ولا سيما اذا كان المراد استعمالهُ للساعات

صفة لمنع الصدأ ـ يستعمل لذلك المزيج الآتي وهو ٣ اجزاء من زيت التربنتينا وجزء من القلفونيا وجزء من شمع العسل تُدهَن بها القطع الصقيلة بعد ان تمزَج جيداً

طلآء ذهبي ثابت ـ اعتادوا ان يطلوا النحاس الاصفر بطلآء يعطيهِ لون الذهب يركبونهُ عادةً بالزعفران او بموادّ اخر اقلّ ثباتاً منهُ كدم الاخوين ونحوهِ ولكنهم اخيراً اصطلحوا على ان يصنعوهُ من صِبغ الفوّة وثبات هذا النوع معروف وهو يركب على الصفة الآتية

يحلّ ٦٠ غراماً من عرق الفوّة في ١٨٠ غراماً من الكحل الشديد التركيز فيكون السائل المصفى منهُ في لون احمر مشبع الحمرة . ثم يحلّ صمغ اللك النارنجي في الكحل المركَّز ايضاً ويُترَك المحلول يتصعد حتى يصير في قوام الشراب وحينئذٍ يضاف اليهِ الصمغ المذكور شيئاً فشيئاً حتى يصير اذا أُخذت قطرةٌ منهُ ووُضعت على النحاس الاصفر المصقول تعطيهِ اللون المطلوب

وقاية البصر من الكلال ـ ذكر احد منشئي الجرائد انهُ كان يشكو من كلال بصرهِ لطول الاستعمال حتى لم يكن يستطيع الكتابة الا بصعوبة فاهتدى الى طريقةٍ تقوّى بها بصرهُ وهي انهُ اتخذ قِطعاً من الورق الملوّن بالوان مختلفة والصقها على مكتبهِ بالقرب من دواتهِ بحيث كان كلما غمس القلم في الدواة تقع عيناهُ على هذه القطع فوجد لذلك راحةً عظيمة في عينيهِ وهو يدّعي ان بصرهُ قد صلح بذلك حتى استغنى عن استعمال الزجاج

فكاهات

رواية

المتهم البريء [١]

كان في احدى مدن انكلترا فتىً يدعى يوسف من اسرة شريفة وكان ابواهُ على سعةٍ من اليسر فرباهُ تربيةً حسنة الا انهُ لم يكد يناهز سن الشباب حتى اخنى الدهر على والدهِ فذهب مالهُ واصبح فقيراً لا يملك القوت ولم يلبث بعد ذلك ان توفي وتوفيت والدتهُ وبقي يوسف يتيماً فقيراً ليس لهُ من يعولهُ ولا ترك لهُ ابواهُ ما يعيش بهِ . فجال يطلب لهُ شغلاً يرتزق منهُ فاغلقت الدنيا في وجههِ ابوابها ولم يقصد احداً من معارفهِ يستعينهُ الا اصمّ اذنيهِ عنهُ الى ان سئم العيش وكثيراً ما كانت تحدثهُ نفسهُ ان يتطاول على بعض بيوت الاغنياء فيسلب منهُ حاجتهُ ثم تمنعهُ الانفة من ذلك فيكفّ عنهُ

ولما بلغ منهُ الضيق وسُدَّت امامهُ جميع سبل المعاش عزم على ان يهاجر بلدتهُ الى حيث لا يعرفهُ احد فاذا تعذر عليهِ الاستخدام لجأ الى السؤال الى ان يمن الله عليهِ بالفرج . فغادر مسقط رأسهِ وذهب هائماً على وجههِ الى ان بلغ احدى ضواحي لندن وكان قد نهكهُ الكلال والجوع فمال الى

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فندقٍ صغير وجلس ليستريح ثم طلب من صاحب الفندق ان يجود عليهِ بشيء يسدّ بهِ رمقهُ فادركتهُ عليهِ شفقةٌ واتاهُ بطعام وشراب ووضعهما لهُ على احدى موائد الفندق فجلس يأكل . وكان على مـائدةٍ اخرى بالقرب منهُ اثنان من اهل تلك الناحية يتناولان الطعام وقد خاضـا في الحديث ونظر احدهما من احدى نوافذ الفندق فرأى قصراً فاخراً تحيط بهِ حديقةٌ غنآء فقال لمن هذا القصر والحديقة فاخذ الآخر يقصّ عليه خبر ذلك القصر فقال هو لرجلٍ من الاغنيآء يقال لهُ اللرد مانرت وهو رجلٌ قبيح الصورة والاخلاق يبلغ الثمانين من العمر قصير القامة ضخم الجثة كبير الرأس وحشيّ الملامح لهُ عينان صغيرتان يتوسطهما انفٌ عظيم وهو على ذلك شرس الطباع سيئ العشرة بالغٌ من البخل اعظم مبلغ مع ان عندهُ من الاموال والعقار ما لا يعلم مقدارهُ الا الله . وقد تزوج منذ عهدٍ غير بعيد فتاةً هي من اجمل خلق الله صورةً فتية السن لا تتجاوز الرابعة والعشرين الا انها كانت رقيقة الحال فاكرهها اهلها على الاقتران بهِ طمعاً في مالهِ من بعدهِ واغترّت المسكينة بالآمال فتزوجت اللرد غير انها لم تلبث عندهُ الا قليلاً حتى لعنت اليوم الذي تم فيهِ ذلك الزواج وعلمت انها قد وقعت في شركٍ لا خلاص لها منهُ الا بموتها او موت اللرد . فانهُ لشدة غيرتهِ عليها سجنها في قصرهِ فلم يكن يسمح لها بالخروج منهُ منذ يوم دخلتهُ ولا هو يخرج من القصر ليلاً ولا نهاراً وزاد على ذلك ما هو فيهِ من البخل والشح الشديد مع سائر ما ذكر من صفاته خَلقاً وخُلقاً حتى كرهت المعيشة وجعلت تندب حظها وشبابها

وان لزوجها نسيباً اسمهُ ادورد كان يزورهُ في بعض الاحيـان وهو

فتىً جميل الطلعة حسن الخلال فاجتهدت في استمالته حتى علق بحبتها وجعل يكثر من التردد الى القصر والخلوّ الى الفتاة وشعر اللرد من ذلك بما مضَّهُ واستوقد نار غيرته فحظر عليها مجالسة ادورد واجتهد في قطع الصلات بينهما قبل تمكّنها فزاد ذلك في كمدها وغمها واضحت العيشة بينهما مرارةً يتقابلان منها على مثل عذاب السعير . وقد بلغني ان في قصره هذا غُرَفاً قد جمع فيها من الجواهر الثمينة واللآلئ النفيسة ما لو وُضع في كيسٍ واحد لما تمكن رجلان من رفعه عن الارض وهذا خلا النقود التي تقدَّر بالملايين ومع ذلك فان نفقاته لا تبلغ نفقة اقل واحدٍ من اواسط الناس

وكان يوسف مصغياً لهذا الحديث يسمع ويعجب من تباين قسمة الله في الارض وهو يقابل حالة اللرد مع حالته الشقية فهام في بيداء الافكار والتأملات . ولبث تلك الليلة في الفندق فتكرم عليه صاحب الفندق بسرير ينام عليه فاستلقى على سريره وجعلت الافكار تدور في رأسه وهو يتمنى لو يحصل على جزء يسير من تلك الالوف المؤلفة التي عند اللرد فلم يأخذهُ غمضٌ وادركتهُ اذ ذاك عوامل خفية اماتت ما بقي حياً من عزة نفسه وسلامة ضميره واحدثت عندهُ جراءةً على ان يقصد في تلك الليلة قصر اللرد ويحتال في الحصول على شيء من تلك الجواهر . وما زال يتردد بين العزم على ذلك والنكوص عنهُ حتى انتصف الليل وغلب عليه الاقدام على الامر فنهض من سريره وحمل كيساً رآهُ في الغرفة وانسلَّ من الفندق فتوجه الى ناحية القصر . ولما بلغ سور الحديقة تسلقهُ ثم اخذ يمشي متحرزاً حتى بلغ البيت وكانت نوافذ الدار السفلى قريبةً من الارض فاحتال على ان فتح

احداها ولم تكن مشبكةً بالحديد فسر بذلك واستبشر بنيل مأربهِ وفي اسرع من طرفة عين وثب الى داخل الغرفة فاستتر تحت ذيل الظلام . وبينا هو يفكّر كيف ينقل خطواتهِ واي جهةٍ يتخذ اذا بنورٍ قد لمع امامهُ بغتةً وقائلٍ يقول لهُ حيّا الله مقدمك ايها الصاحب. ولا حاجة الى شرح ما المّ بيوسف على اثر تلك المفاجأة ولا سيما وهو لم يتعود ركوب مثل هذا المركب المخيف ونظر فابصر امامهُ فتاةً بثيابها البيض وقد سدلت شعرها الاسود على كتفيها وفي يدها شمعة شديدة الضياء فاصطكّت ركبتاهُ وامتُقع لونهُ وهمَّ بالفرار غير انهُ لم يستطع وشعر كأن قوةً كهربائية قد سمّرتهُ في موقفهِ فلم يقوَ على الحراك. ورأت الفتاة عليهِ علائم الخوف فكلمتهُ بصوتٍ لطيف وقالت لا تخف يا صاح فقد لمحتك من غرفتي حين تسلقت جدار الحديقة ورأيتك تحاول فتح النافذة فاتيت للحال لافتحها لك لو لم تسبقني انت الى ذلك . والآن فهلمَّ معي بدون ان يشعر بنا احد ولا تخف فاني صديقتك واحب ان اساعدك فيما تنويهِ . فقال يوسف لا شك ان قصدكِ ان تقوديني الى الدار حيث توثق يدايَ وأُرسل الى السجن وانا حتى الآن لم اجنِ جنايةً فدعيني اذهب ولا تخدعيني بدعوى الصداقة وانكِ تريدين مساعدتي على سلب بيتكم . قالت بل هو ما اقول لك فاني اريد مساعدتك فعلاً لاسباب اهمها علمي بانك محتاج ولولا ذلك لما خاطرت بحياتك واقدمت على هذا العمل. وزوجي اللرد رجلٌ غنيٌّ واسع الثروة وهو مع ذلك لا يساعد احداً وانا على عكسهِ فان لي قلباً يشعر بالمصائب وارى من العار والدناءة بل من مخالفة مشيئة الله ان تكون الجواهر الثمينة والقناطير المقنطرة من

الاموال مدفونةً تحت ابنية هذا القصر وامثالكم يتضورون جوعاً ولا يجدون ما يمسكون بهِ رمقهم . اجل اني اودّ ان اؤاسي امثالك ولو افقدت زوجي شيئاً من مالهِ فاني اكرههُ لاني اكره الغنيّ البخيل واحبّ مؤاساة الفقير لاني ذقت طعم الفقر فسر معي ولا تخشَ ولكن اقفل النافذة التي دخلت منها لئلاّ يرى احدٌ النور هنا في مثل هذا الساعة

ورأت السيدة الكيس على كتف يوسف فتبسمت ثم سارت امامهُ الى ان بلغا غرفة فسيحة قد خصصها اللرد لخزن جواهرهِ وزين جدرانها باصناف الاسلحة والآلات القديمة وملأها بصناديق زجاجية قد وضع فيها مجاميع من اوسمة (نياشين) الدول وما استطاع جمعهُ من الحلى والمصوغات ونفائس الجواهر . فكان يوسف ينظر الى هذه الاشياء وهو لا يصدّق ان ربة البيت تقودهُ لتساعدهُ على سلب اموال بعلها . وانتهى الى واحدٍ من تلك الصناديق مملوء بالجواهر فوقف امامهُ واخرج من جيبهِ سكيناً فعالج بهِ قفل الصندوق حتى فتحهُ . فقالت لهُ السيدة لا تعجل يا صاح فانك ستصل الى افضل من هذا فقال اشكركِ يا سيدتي لكن هذا يكيفني اذا سمحتِ لي به . قالت نعم هو يكفي ولكنك ستجد صعوبةً في بيع هذه الجواهر وربما عُرِفت فافتضحتَ بسببها فالافضل لك ان يكون ما تأخذهُ نقوداً . قال هذا هو الصواب . قالت ان زوجي ينام في الغرفة التي فوقنا وتحت سريرهِ اكياسٌ ملأى بالليرات فان استطعت ان تحمل واحداً منها اغناك آخر الدهر . قال اجل لكن اذا استيقظ زوجكِ فماذا يحل بي . قالت انك تستطيع ان تسكتهُ في اقلّ من لحظة . وللحال لمع في عينيها برق الانتقام

فادرك يوسف حينئذٍ انها ما ارادت الا ان تستعين بهِ على الايقاع بزوجها انتقاماً منهُ وتخلصاً من شرهِ ولما لم يسبق لهُ عادةٌ بمثل ذلك قال لا يا سيدتي فانني اسرق لاضطراري الى المال ولكني لا اقتل . قالت انت وما تريد ولقد كنت اظنك فتاكاً جريئاً على الاهوال فخاب ظني فيك واذا كنت قد اقتنعت بالجواهر فخذ من هذا الصندوق الذي فتحتهُ ما تستطيع حملهُ

وبينا هم ان يمدّ يدهُ الى الصندوق اذ رأى السيدة قد نظرت الى الخارج واعارت اذناً صاغية فتوقف لينظر ما يكون وللحال سمعا كلاهما وقع اقدامٍ ثقيلة في اول الدهليز ورأيا نوراً ضعيفاً فقالت لهُ هذا زوجي قد اقلقتهُ افكارهُ ولعلهُ سمع حركةً فجآء لينظر ما الخبر فاختبئ انت وراء هذا الستار واذا وصل احتلتُ على صرفهِ ثم تأخذ ما تريد وتنصرف . فدخل واختبأ وراء ستار النافذة ولم يلبث قليلاً حتى وصل اللرد فوقف بباب الغرفة وهو بثياب النوم وفي يدهِ شمعة فرأى زوجتهُ واقفةً امام صناديق الجواهر . فالقى عليها نظرةً حادّة وقال ما الداعي لوجودكِ هنا في مثل هذه الساعة . قالت اني ارقتُ في هذه الليلة ولم استطع الرقاد وليس لي ما اتسلى بهِ فجئت اقطع قليلاً من وقتي برؤية هذه الكنوز . قال لا عجب في ذلك فان من يحاربهُ ضميرهُ لا ينام . قالت اذن لذلك انت تنام ملء عينيك ولا تكاد تستيقظ الا في النادر . قال اما انا فان ضميري لا يحاربني الا على امر واحد وهو اتخاذي اياكِ زوجةً لي فياليتني متّ قبل ان انزلت نفسي الى مقامكِ او رفعتكِ الى مقامي . قالت وما يمنعك ان تطلقني . قال خوفي من الفضيحة بألسنة الناس ولذلك آثرت مضّ البلية على احتمال العار وانا اعلم انكِ تودين

الطلاق لتتخذي ادورد زوجاً لكِ ولكن ينبغي ان تعلمي ان هذا من المحال فموتكِ امام عينيّ ايسر من خلاصكِ من يدي . ثم زفر زفرةً محرقة وقال آه من النسآء يطلب المرء شريكةً لحياتهِ تشاطرهُ السرّآء والضرآء فتكون قذًى في عينهِ وغصةً في حلقهِ ومرارةً يتجرعها كل دقيقة

وكان هياج اللرد شديداً ورأى بجانبهِ كرسياً فجلس عليهِ واخذ يحدّق الى الصناديق ليرى هل طرأ عليها شيءٌ . وكان يوسف قد ترك السكين على غطآء الصندوق الذي فتحهُ فلمحتهُ زوجة اللرد قبل ان يراهُ هو فاسرعت وتناولتهُ خلسةً واخفتهُ في يدها بين اثنآء ثوبها ثم اتت ووقفت ورآء كرسيّ زوجها وكان اللرد لا يزال يتمتم بالشتائم ويلعن الساعة التي اتخذ فيها زوجةً . وعند ذلك بلغ الغيظ من زوجتهِ مبلغهُ وفطنت للسكين الذي في يدها فرفعت يدها من ورآء زوجها وطعنتهُ في عنقهِ طعنتين فتدفق الدم من وريدهِ وحاول ان ينهض فلم يقدر فصاح قتلتِني ايتها الملعونة وللحال خرّ الى الارض صريعاً فتلوّى وتشنج وأنّ الى ان فاضت روحهُ وهي قابضة عليهِ بيديها

ولما سكنت حركة اللرد خرج يوسف من مخبئهِ وتقدم نحوها فنظرت اليه باسمةً وقالت لهُ بقلبٍ ملؤهُ السكينة انك لم تجترئ على هذا العمل فعملتهُ انا وارحت نفسي من شر هذا الظالم العتيّ لا رحم الله روحهُ . قال يوسف لكن ربما قُتلتِ بعدهُ بيد العدل . قالت هو خيرٌ لي من ان يبقى حياً واذوق معهُ الموت كل يومٍ اصنافاً . والآن فهلمّ وساعدني لنجلسهُ على كرسيهِ وخذ ما شئت من هذه الجواهر وعجل خروجك فقد اوشك ان

يتبسم الصباح . فاقترب يوسف وساعدها على رفعهِ حتى اجلساهُ على الكرسيّ وتلوثت يدا يوسف من دمهِ فشعر بقشعريرةٍ ورعدةٍ عظيمة . ولما فرغا من ذلك همّ بالخروج فقالت لهُ والجواهر . قال لم اعد باحتياج الى شيء سوى الخروج من هذا المحل . قالت لا تكن سخيف العقل فلن يكون لك غير هذه الفرصة فخذ ما استطعت من المال قبل ان تتقاسمهُ ايدي الغربآء . ثم فتحت لهُ الكيس واخذ يضع فيهِ من تلك الجواهر حتى بلغ كفايتهُ ثم حمل الكيس وانحنى لها شاكراً وخرج من النافذة ولما وطئ الارض تنفس نفساً مديداً وقال الحمد لله فقد نجوت . غير انهُ ما كاد يرفع رجلهُ ليخطو حتى سمع صراخاً دوت لهُ تلك الناحية وصوتاً يصيح واذلاّهُ قتلوا زوجي . امسكوا القاتل امسكوا القاتل . فلما سمع يوسف ذلك بادر فطرح الكيس عن كتفهِ واطلق ساقيهِ للريح غير انهُ ما وصل الى سور الحديقة حتى سدت الخدم في وجههِ باب الفرار فامسكوهُ ورجعوا بهِ الى البيت ثم وصلت الشُرَط والجنود فاوثقوهُ وادخلوهُ الى الغرفة حيث القتيل على كرسيهِ والزوجة الخائنة جاثية بجانبهِ تبكي بكآءً مرّاً . فسألها الشرطي اهذا هو القاتل يا مولاتي فرفعت منديلها عن عينيها ونظرت اليهِ وقالت نعم هو بعينهِ . ثم قالت لهُ ويلك ايها الغادر كيف طاوعتك يدك الاثيمة على قتل هذا الشيخ العاجز . وغلب على يوسف الدهش فلم ينبس ببنت شفة فقال لهُ الشرطي مالك لا تتكلم . فقال يعلم الله يا مولاي اني لست انا القاتل واذا قلت لكم انها هي القاتلة فهل تصدّقون . فلطمهُ احد الخدم على رأسهِ وقال لهُ اخرس يا لئيم . فقالت لهم دعوهُ انتم واتركوا امر معاقبتهِ للقضآء . ثم

نظرت الى يوسف وقالت نعم ايها السفاك الباغي والسارق المعتدي اني رأيتك واقفاً في هذه الغرفة ورايت زوجي المسكين مضرجاً بدمآئهِ وبين يديك كيسٌ مملوء بالجواهر التي سرقتها من هذا المحل فحملتهُ وبادرت الفرار فالويل للّصّ القاتل . وفيما هي تتكلم اذ دخل احد الخدم ومعهُ الكيس الذي طرحهُ يوسف عند هربهِ وهكذا تبرأت تلك الخائنة وعبثاً حاول يوسف تبرئة نفسهِ فاخذوهُ وزجّوهُ في السجن المؤبد يقاسي فيهِ الوان العذاب وخلا الجوّ لتلك الاثيمة فاقامت بعد ذلك تتمتع بالسعادة والغنى مع محبوبها ادورد

ومرّت على يوسف بضع سنوات في السجن وهو صابرٌ مستسلمٌ لاحكام القضآء وقد ايقن ان ذلك كان عقاباً لهُ لمطاوعتهِ نفسهُ الأمارة بالسوء . واتفق بعد ذلك ان مفتش السجون طاف عليها يزور المسجونين وينظر في احوالهم ولما بلغ سجن يوسف توسل اليهِ ان يسمع خبرهُ وقصّ عليهِ ما كان من امرهِ وانهُ انما يقاسي الحبس ظلماً ولكن شواهد الحال لا تسمح لهُ بالتبرّؤ لانها باسرها تثبت التهمة عليهِ . فرقّ المفتش لحالهِ ودعتهُ نفسهُ لتحقيق الامر فاحتال في التقرب من امرأة اللرد وجعل يتردد عليها المرّة بعد المرّة ويريها من نفسهِ التعلق بجمالها حتى تمكنت بينهما علائق الحبّ واخذ يستدرجها شيئاً فشيئاً الى ان باحت لهُ بالسرّ وكشفت لهُ حقيقة الواقع . واذ ذاك رفع المفتش الامر الى ديوان القضآء وبعد فحص القضية ظهرت لهم جلية الامر واعترفت اللعينة بما فعلت فأُطلق سراح يوسف بعد ان كوفئ عن مدة حبسهِ من مالها واستلم العدل تلك القاتلة لمعاقبتها بما تستحق